



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جدد إيمانك بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة: 24 صفر 1432 هجري إعداد: خالد المغربي - فلسطين - القدس - المسجد الأقصى

www.al-msjd-alaqsa.com

وفق: 2011/01/28م

نبضات من تبيان القرآن - في أول أمثال سورة البقرة - الحلقة 5

يقول عز وجل (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: 17-20).

(أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ)

خلاصة القول من كلام الله لغاية الآن (إن الذين كفروا... ختم الله على قلوبهم... فهم لا يرجعون)، نعم لو حدهم لا يرجعون فقد خُتِمت قلوبهم برانٍ غليظٍ أخرجهم من دائرة النور والهداية وأعادهم الظلمات والضلال الذي ابتدءوا منه كما جاء في الحديث القدسي (كلكم ضال إلا من هديت)، ولكن هذه القلوب لم تقفل بعد، فمن رحمته عز وجل التي سبقت عذابه، فقد قال (وما كنا معذنين حتى نبعث رسولاً)، فكانت هذه الآية بمثابة الفرصة الثانية التي منحها سبحانه وتعالى لهؤلاء الكفار، وهذا هو المدخل لفهم معنى قوله عز وجل (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ)، فبعد أن قال (فهم لا يرجعون) التي دلت على أن قلوبهم قد ختمت، جاءت الرحمة بقوله (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ)، ومن النتيجة التي توصلنا لها في المطوية السابقة في المقارنة التي عقدتها بين الختم والقفل، حيث توصلنا إلى أن الختم يكون بعد نسيان العهد وعدم تذكره من خلال آيات الله في أنفسنا وفيما يحيط بنا في حين



أن القفل يكون بعد إندار الرسل والأنبياء والكتب السماوية السليمة من التحريف، كل هذا يقودنا لفهم الشبه في المثل في قوله عز وجل (أو كصيب من السماء) حيث أنه عز وجل يشبه بعثة وإرسال الرسل والأنبياء والكتب السماوية بالماء النازل من السماء، الماء يعمل على إحياء الأرض بعد موتها، والأنبياء والرسل والكتب السماوية تعمل على إحياء قلوب الكفار بعد موتها بجلاء ما ران عليها من معاصي وآثام.

الآيات القرآنية التي تظهر كيفية إحياء الماء للأرض الميتة

دعونا نلقي نظرة سريعة على بعض آيات القرآن الكريم التي تبين إحياء الماء للأرض بعد موتها، يقول عز وجل (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا). (البقرة: 164)، ويقول (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). (الاعراف: 57)، ويقول (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ). (النحل: 65)، ويقول (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ). (الحج: 22: 5)، ويقول (وَلَسِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ). (العنكبوت: 29: 63)، ويقول (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). (الروم: 30: 24)، ويقول (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). (فصلت: 41: 39)، ويقول (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ). (الزخرف: 43: 11).

التكذيب برسالة الرسل تعيد الكافر لحالة الصمم والعمى

إذن، فبعد أن ماتت قلوب الكفار بتكذيبها بآيات الله الكونية، جاءت بعثت الرسل والأنبياء والكتب السماوية، ودبت الحياة في قلوب الكفار من جديد، فالأنبياء هداة مهدين يهدون للصراط المستقيم وعلينا الاقتداء بهم للوصول لطريق الهداية، يقول عز



وجل (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين) (الأنعام: 90)، وفيما يلي بعض من الآيات التي تبين كيفية عودة الكافر لحالة العمى والصمم من خلال تكذيب رسالة رسوله، يقول عز وجل (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ). (الأنعام: 104). ويقول (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون * وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون). (المائدة: 70-71). ويقول (ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون). (يونس: 42). ويقول (ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون). (يونس: 43). ويقول (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون). (النمل: 81-82). ويقول (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين). (الروم: 30-52). ويقول عز وجل (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون). (الروم: 30-53). ويقول (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين). (الزخرف: 43: 40).

أيضاً التكذيب بالكتب السماوية تعيد الكافر لحالة الصمم والعمى

بين لنا عز وجل في كثير من الآيات أن الكتب السماوية هي هدى للناس، وفيما يلي بعض آيات القرآن الكريم التي تظهر عودة الكفار لحالة الصمم والبكم والعمى نتيجة إعراضهم عن الكتب السماوية، يقول عز وجل (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون). (البقرة: 170-171). ويقول (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وعاتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون). (هود: 28). ويقول (قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندرون). (الأنبياء: 21: 45). ويقول (ولو جعلناه قرءاناً



أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ). (فصلت: 41: 44).

القرآن الكريم هو آخر سلسلة الهداية لفض ختم قلب الكافر

لقد أرسل عز وجل الكثير من الأنبياء والرسل والكتب السماوية، وكانت رسالة كل رسول تنسخ رسالة من سبقه من الرسل، وكان كل كتاب ينسخ ما سبقه من الكتب، حتى انتهى المطاف برسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي كان خاتم الأنبياء والمرسلين، وكان القرآن الكريم ناسخ كل الكتب السابقة، وبموته صلى الله عليه وسلم، لم يبقى للكفار إلا القرآن الكريم يهديهم ويفض الختم الذي على قلوبهم، فمثلاً يقول عز وجل (أُولَٰئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء: 21: 30)، ولأن القرآن سيقى ليوم القيامة، كان هناك حاجة لأن يُحفظ هذا الكتاب الخاتم من عبث العابثين والمخرفين، يقول عز وجل (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: 9)، فهذا الكتاب سيقى كتاب الهداية لآخر الزمان، وفي أول آيتين من سورة البقرة أظهر لنا عز وجل أن هذا القرآن الكريم المحفوظ هو كتاب الهداية، فلا يؤخذ بأي كتاب بمجيئه ولا هدى بغيره، يقول عز وجل (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ، هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة: 2: 1-2)، فنحن مع إيماننا بباقي الكتب السماوية إلا أننا لا نأخذ إلا بالقرآن الكريم، وفي الحديث الشريف عن القرآن الكريم، يقول صلى الله عليه وسلم (طرفه بأيدكم وطرفه بيد الله)، ويقول (القرآن هدى من الضلال وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار) وذات يوم (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة فقلنا: يا رسول الله كيف الخلاص منها؟" فقال صلى الله عليه وسلم: "بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، ما تركه جبار إلا قصم الله ظهره، ومن طلب الهداية بغير القرآن ضل، وهو الجبل المستين والذكر



الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن، ولا يخلق من كثرة القراءة، ولا تشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه". فعدم الأخذ به من قبل الكفار هو بمثابة الكفر الثاني بعد الختم والذي يوصلهم لمرحلة القفل الذي لا رجعة عنه.

خلاصة - مراحل كفر الكافر

وهكذا نخلص مما سبق لفهم المراحل التي يمر بها الكافر في كفره وهي كالآتي:-

1- أول كفر للكافر كان بكذبه على الله في السماوات في قوله (بلى شهدنا) حيث قالها كذباً. بعدها حلت رحمة الله ومنح الكافر فرصة ثانية حيث غفر عز وجل للكاذب لقوله (لا إله إلا الله) وأنار له قلبه بالنور والهداية وأهبطه للأرض وطلب منه أن تذكر العهد من آياته سبحانه وتعالى التي جعلها عز وجل في كل شيء في الكون، يقول سبحانه وتعالى (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: 38).

2- الكفر الثاني كان من خلال النسيان وعدم التذكر بالآيات الكونية، والنسيان أو الغفلة أو الانقياد خلف الكفار الذي هو كذب على الله وإنكار للعهد المعقود بين الله وبين الكافر بقول (لا إله إلا الله)، وبهذا الكفر يُختم على قلب الكافر برانٍ مانع من رؤية سبيل الصراط المستقيم. وهذا الران يتراكم من النكات للأغشية فالأغلفة والأغطية والأكنة. وأيضاً هنا حلت رحمة الله ومنح الكافر فرصة ثالثة بمسح وجلي هذا الران عن قلب الكافر من خلال بعثة وإنزال الأنبياء والمرسلين والكتب السماوية ويكون القرار هنا للكافر إما بالتوبة أو العودة للكفر.

3- الكفر الثالث للكافر كان بعودته لكفره وإصراره على هذا الكفر، الذي يؤدي لقفل قلب الكافر بران لا رجعة فيه والموت عليه واستحقاق الخلود في نار جهنم عليه. (يتبع..)

www.al-msjd-alaqsa.com

Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmaznah Elhmra - No. 9
P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المئذنة الحمراء – رقم 9
ص.ب: 51172، تليفاكس: +9726282173 محمول:
+972523623683، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com
www.almrkz.org، www.al-msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com